

مشاريع المياه وتطورها في عصر الدولة الاموية

قيصر سعدي ياسر

المديرية العامة لتربية نينوى

(قدم للنشر في ٢٠٢٣/١٠/٤ قبل للنشر في ٢٠٢٣/١١/٢)

الخلاصة

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جهود الدولة الأموية في إنشاء مرافق إمدادات المياه في الشام، خاصة خلال فترة حكم الأسرة المروانية ، وإبراز تنوعها ووظيفتها وتنوع أسلوب البناء فيها، مما يدل على عبقرية هندسية واضحة تتجاوز الأسلوب المعماري السابق، وتم تأسيسها في بلاد الشام بناءً على الخصائص البيئية والجغرافية للمنطقة ، ومن خلال تتبع المصادر الأصلية المختلفة والحفريات الأثرية الحديثة ، من أجل تلبية الاحتياجات اليومية وري الأراضي الزراعية، وظهر كيف بذلت الدولة جهودًا كبيرة لحماية مثل هذه المنشآت ، وكيف تطورت أساليب الإدارة واستخدامها لحماية خصوصيتها ، ويجب أن يكون لمثل هذه المشاريع تأثير على حياة السكان ويمكن تحديد تأثيرها على جميع جوانب الحياة من خلال نتائج هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: مشاريع المياه، الدولة الأموية، مرافق إمدادات المياه، الأسرة المروانية.

Water projects and their development in the era of the Umayyad state

Qaysar Saadi Yasir

General Directoate of Education in Nineveh

Abstract

This study aims to reveal the efforts of the Umayyad state in establishing water supply facilities in the Shamm, particularly during the rule of the Marwanid dynasty, and to highlight its variety, function and the variety of its construction method, which indicates a clear engineering genius that transcends the previous architectural style, and was established in the Shamm based on the environmental and geographical characteristics of the area, and by tracing the various original sources and recent archaeological excavations, in order to meet the daily needs and irrigate agricultural lands, and it appeared how the state made great efforts to protect such installations, and how management methods evolved and used them to protect their privacy, and such projects must have an impact on the life of the population and its impact on all aspects of life can be determined through the results of this study.

Keywords: water projects, the Umayyad state, water supplies facilities, the Marwani family.

المقدمة.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الجهود المبذولة في عصر الدولة الأموية في تنفيذ مشاريع المياه في الشام وشبه الجزيرة العربية ومدى الازدهار والتميز الذي حققوه في أعمال التشييد من خلال تعدد وتنوع وظائف وأساليب البناء والتي أظهرت أنماط هندسية مبتكرة تفوقت على الأنماط القديمة، من أجل تلبية الاحتياجات اليومية وري الأراضي الزراعية، وظهر كيف بذلت الدولة جهودًا كبيرة لحماية مثل هذه المنشآت، وأوضحت الدراسة كيف يجب أن يكون لمثل هذه المشاريع تأثير على حياة السكان.

وتضمنت الدراسة محاور عديدة هي: أصل مشاريع المياه في عصر الدولة الأموية، وأنواعها، وطرق المحافظة عليها، وكيفية استغلالها، ومدى تأثيرها على حياة السكان.

مدخل:

مشاريع المياه هي أحد المشاريع التي تبنها المسلمون لأغراض مختلفة تتعلق بالحياة اليومية، وهي منشآت غرضها قد يكون أخذ المياه، أو تخزينها، أو تنقيتها، أو قياس مناسيها، أو التحكم في توزيعها، ولا شك أن المنشآت الإسلامية معروفة عمومًا بالتطور مع مرور الوقت حتى وصلت إلى نقطة تمكنت فيها محاكاة إنجازات البلدان المجاورة بطريقة فريدة تعبر عن شخصياتهم وأصولهم الثقافية، وغلب على حياة المسلمين منذ زمن النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين، البساطة وقسوة العيش والجهد، ولم تشيد في تلك الفترة المنشآت أو المباني غير دار النبي وعدد من المساجد المتميزة في البساطة والتي اعتمدت على سعف النخيل والطين في تشييد السقوف والجدران واعتمدت غالبية الأعمدة على أعمدة الكنائس والمعابد القديمة المتواجدة في البلدان التي فتحها المسلمين^(١).

بعد أن استقر المسلمين العرب في البلدان التي رفعوا فيها راية الإسلام، بدأت أعمال التشييد تظهر في كل مكان، وكان لهذه المباني شخصية معروفة مختلفة تمامًا في الأسلوب والتصميم عن المباني التي عثروا عليها في البلدان التي لم تشهد الفتوحات الإسلامية، وعندما بدأ المسلمون في جمع مختلف الأساليب المعمارية القديمة واستخدامها بخصائص الدين الجديد، بدأ النمط العربي في الظهور، ومما لا شك فيه أن الإنتاج الفني للعصر الأموي أصبح أكثر نضجًا واستمر في الابتكار حتى اختفى أصل الحضارة الجاهلية تقريبًا، وظهرت ملامح معمارية جديدة مثل السقوف والقباب والأبواب وقمم الأعمدة والأقواس وجميع النقوش الزخرفية وكذلك الهندسة والتخطيط، وتجدر الإشارة إلى أن طبيعة ووظيفة المباني الجديدة تنبع من تلبية احتياجات وشروط العقيدة الإسلامية والثقافة العربية، لذلك ظهرت الفردية والأصالة المتميزة في الفن الإسلامي^(٢).

(١) سامح، كمال الدين، ١٩٩١، العمارة في صدر الإسلام، ط ١، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر والتأليف: ص ٥.

(٢) ربحاوي، عبد القادر، ١٩٧٩، العمارة العربية الإسلامية، القاهرة، منشورات وزارة الثقافة، ص ٢٥؛ شريف، يوسف، ١٩٨٠، المدخل

التاريخ الفن والعمارة الإسلامية، بغداد، منشورات دار الجاحظ، ص ٨.

تعتبر مشاريع المياه المتمثلة بالمباني المائية من أهم المباني بالنسبة للمسلمين ، وقد حظيت باهتمام ورعاية حكام البلاد، وكان للحاجة الماسة للمياه في الشام تأثير كبير على تطورها منذ القدم واهتمامها بالهندسة المعمارية، ومع تطور مشاريع التشييد في عصر الدولة الأموية، والمتمثلة بتشييد المساجد والقصور في مراكز المدن وضواحيها، كان من الضروري بناء منشآت حفظ المياه مثل الخزانات والسدود والبرك والقنوات، ومما لا شك فيه أن عنصر الماء قد حظي باهتمام كبير من قبل المعماريين المسلمين في مبانيهم وساحاتهم، معتبرين عنصر الماء احد العناصر البيئية والروحية لهذه المباني، وتعتبر المباني الإسلامية من أنجح الأبنية، حيث تستخدم عنصري الماء والنبات في أراضي المبنى والساحات الداخلية ، وتشكل تشكيلاً رائعاً، وقد بينت أبحاث العالم ألويس موزيل عن قصر عمره^(١)، والحفريات التي قام بها المستشرق الفرنسي جان سوفاجيه على مباني عصر الدولة الأموية، أهمية مباني المياه الواقعة قرب القصور في الشام، ودورها في تشجيع السكن في البادية وتنفيذ المشاريع الزراعية فيها، واتفق عدد من الباحثين لاحقاً مع هذه النظرية منهم الباحث هانز والذي ناقشها في بحثه للخربة الأثرية الأموية المعروفة باسم خربة البيضاء^(٢)، وبحثه المعني بالقصور الأموية في الشام، وقد تم العثور على آثار لهذه المباني، مثل أسوار الحقول الزراعية، ومصائد الحيوانات، والسدود، والقنوات، والبرك، وطواحين المياه، مما يدل حتماً على وجود أنشطة زراعية مزدهرة كانت قائمة^(٣).

وهذه النظرية أيدها البلاذري وابن الأثير، بأن الخليفة هشام بن عبد الملك أنشأ أسواقاً عديدة، مثل سوق الرصافة، والسوق العتيق في بادية الجزيرة، من اجل بيع محاصيل أراضيهم الكثيرة، وبذلك احتكر تجارة المحاصيل لنفسه، وكتب إلى والي العراق خالد القسري قائلاً: "لا تبيعوا أي من المنتجات زراعية حتى تباع محاصيل أمير المؤمنين"^(٤).

ولهذا السبب فإن معظم هذه الضيعات تسمى الحير أو الحائر^(٥)، وفي حال وجود خلافات حول معنى الكلمة، فإنهم يتفقون في المقابل على أن للحائر علاقة وطيدة بالاستثمار في المياه في الإصلاح الزراعي^(١).

(١) قصر عمرة: أو قصر عمرة هو قصر صحراوي أموي يقع في شمال الصحراء الأردنية، شيد في حكم الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة (٩١هـ / ٧٩٠م). كمال الدين، العمارة، ٢٦؛ الحمارة، منذر، ١٩٩٦، الفنون الزخرفية في القصور الأموية ببلاد الشام ، رسالة ماجستير، الجامعة الردينية، الاردن، ص ٤٧.

(٢) خربة البيضاء: هي خربة أثرية أموية تقع في بادية الشام في منطقة دوما. غاوية، هايتز، ١٩٨٤، الخربة البيضاء، مجلة التسامح، ع ١٦، الاردن، ص ١٠١.

(٣) غاوية، الخربة البيضاء، ١٠١، ٣٣٦.

(٤) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داؤد (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، ١٩٨٨، فتوح البلدان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ص ٢٣٢؛ ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، ١٩٩٧، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ج ٣/ ص ٤٧.

(٥) الحائر: هو حوض تتدفق فيه المياه بسبب المطر، ومن هنا جاءت تسميته بالماء ، أو مكان هادئ يتجمع فيه الماء ويتعكر ولا يخرج. ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل، ١٩٩٣، لسان العرب، ط ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج ١/ ص ٥٤٧.

أولاً: أصل مشاريع المياه في عصر الدولة الأموية:

اكتشف المسلمون العرب في البلدان التي فتحوها عدد من الصنّاع الماهرين في هندسة البناء، فإستفادوا من جهودهم، ومع توسع الإمبراطورية الإسلامية برزت طموحات العمارة الفخمة، ففي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٧٠٥هـ/٧٠٥م) أقام المسلمون قبة الصخرة في مدينة القدس، ثم بنى الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان (٧١٥هـ/٧١٥م) جامع بني أمية الكبير والمعروف اختصاراً بالجامع الأموي في دمشق، وبالإضافة إلى حركة تشييد المساجد التي تمثل مشاريع البناء الدينية، فإن المشاريع الانشائية الأخرى، مثل العديد من القصور التي بناها الأمويون تمثل الجانب المدني لمشاريع البناء، ومن الممكن التعرف على فن التشييد في هذه المباني من آثارها الباقية، والتي لا تزال موجودة وفي حالة مقبولة في كثير من الحالات، وتنتشر قصور الدولة الأموية في بلاد الشام على نطاق واسع؛ من جنوب الأردن إلى جزيرة الفرات شمالاً، ومن جوف الصحراء شرقاً إلى ساحل البحر المتوسط غرباً، ودونت في الدراسات السابقة أن هناك ما مجموعه ٨٦ منشأة تم تشييدها في عصر الدولة الأموية، ومما لا شك فيه أن هذه المنشآت بحاجة إلى إعادة بناء، وبالتالي فإن الطلب على المياه أمر ملح للغاية، ووجدنا وفرة من الآبار والقنوات في المنطقة القريبة من قصير عمرة، ومعظم القصور الأخرى تحتوي مبنى لتخزين المياه، وأهمها صهاريج المياه المعدة لهذا الغرض، وكشفت الحفريات عن وجود سد ضخم للمياه في الجهة الشرقية لقصر القسطل جنوب عمان، وهناك آثار لخزان للمياه في الجهة الغربية، اسلوب تشييده مشابه لاسلوب تشييد القصر^(٢).

ويرجع الاهتمام بهذا النوع من المنشآت فقط إلى الطبيعة الجافة والحارة للمنطقة، لذلك من الضروري استخدام الخزانات والسدود لتخزين المياه لتلبية الاحتياجات المختلفة، وتجدر الإشارة إلى أن القصور الأموية احتوت على الحمامات والتي مثلت جانب من الرفاهية، وكشفت الحفريات عن وجود الحمامات في كل من قصير عمرة، وقصر الحير الشرقي أو ما يسمى بالقلعة الشرقية^(٣)، وقصر الحير الغربي أو ما يسمى بقصر الزيتون^(٤)، ومن هنا يتبين أن هذه القصور كانت بأمر الحاجة لمشاريع المياه للاستيطان والاستفادة منها في الأنشطة الزراعية، وكان تشييدها بجوار مصادر المياه أمراً ضرورياً لاستمرار الأنشطة فيها، وهناك عدة آراء يمكن تتبعها لمعرفة أصل مشاريع المياه في عصر الدولة الأموية.

الرأي الأول:

(١) طوقان، فوزي، ١٩٨١، حقائق الحيوان في العصر الأموي، ع ٣١، ج ١، الدار الاثرية العربية السورية، جامعة دمشق، ص ٣٨.

(٢) غاوية، الخربة البيضاء، ٣٣٢.

(٣) قصر الحير الشرقي: ويعرف أيضاً بالقلعة الشرقية يقع في بادية دمشق بالقرب من مدينة السخنة حوالي ١٠ كم شرقاً وعن مدينة الرصافة حوالي ١٠٠ كم بناه الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك عام ١١٠هـ/٧٢٨م. الحمامنة، الفنون الزخرفية، ٤١.

(٤) الحير الغربي: هو قصر أموي يقع نحو ٦٠ كم جنوب غرب تدمر، بني سنة ١٠٩هـ/٧٢٧م في عصر هشام بن عبد الملك. الحمامنة، الفنون الزخرفية، ٣٩.

ينسب هذا الرأي أصل مشاريع التشييد الأموية في بلاد الشام إلى حضارة الغساسنة الذين استقروا في بلاد الشام في بداية القرن الأول الميلادي، بدء بقبائل بني سليح وتتوخ الذين اعتنقوا المسيحية وانتصروا على أهل الشام في القرن الثالث الميلادي، كان الغساسنة آخر من دخل الشام واستمر حكمها بأيديهم^(١).

تميز الغساسنة بحضارتهم المزدهرة، الأمر الذي جعل عدد من علماء التنقيبات الأثرية تتسبب عدد من الآثار العربية في بداية الشام مثل قصر طوب^(٢)، والمشتى^(٣) إلى عصر الغساسنة، استنادا إلى رواية المؤرخ حمزة بن الحسن الأصفهاني، والذي ذكر أن الحارث بن جبلة^(٤)، شيد عدد من قناطر المياه قرب قصر القسطل، الأمر الذي يؤكد اهتمام الغساسنة بالزراعة، حيث استغلوا مياه منطقة حوران وأعادوا بناء القرى والضيعات، واهتموا في تشييد القصور، وأشار الأصفهاني إلى مشاريع المياه التي أقامها عرب الغساسنة في حديثه عن النعمان بن الحارث بن جبلة (٣١٧-٣٢٧)، والذي أعاد بناء خزانات المياه التي دمرتها قبيلة لخم، وتبين التنقيبات الأثرية أن أصل قصر القسطل يعود لفترة حكم الغساسنة، حيث صنفه عدد من العلماء على أنه قصر غساني، وتم اعتماده كنموذج لإعداد مخططات القصور الأموية، وقد بينت الحفريات الاهتمام الكبير بمشاريع المياه في تلك القصور، حيث تم استخدام جميع التقنيات الفنية لمنشآت المياه بسبب الموقع الصحراوي للقصر، فقد تم تشييد سدا للمياه وصل طوله ٤٠٠ م وسمكه ٤،٣ م ويبعد ٠،٥ كم عن قصر القسطل، يحتوي على قنوات للمياه، وتم تشييد خزان لخزن المياه بلغت أبعاده ٣٠ م طول، و ٢٢ م عرض، و ٦،٥ م عمق، واحتوى مقياسا عموديا للمياه بلغ طوله ٥٣ سم، ومما لا شك فيه أن القصور الأموية استفادت من هذه التقنيات التي شهدت تطور الأساليب الهندسية والإنشائية في ذلك الوقت^(٥).

الرأي الثاني:

ينسب هذا الرأي أصل مشاريع التشييد الأموية إلى تأثيرات الحضارة الهلنستية الرومانية، والبيزنطية، من خلال أنماط تشييد القصور والمباني الأموية، حيث اعتمدت قصور عصر الدولة الأموية في نمطها العام على أسلوب قصور الإمبراطورية البيزنطية في الشام، والتي كانت بشكلها العام عبارة عن طابقين مكون من عدد من الغرف مجتمعة حول فناء مركزي مربع الشكل، وكما هو واضح في قصر خربة المفجر، وأشادت التنقيبات الأثرية

(١) عطوان، حسين، ١٩٨٧، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام، ط١، بيروت، مطبعة الجيل، ص ٧٩-٨١.

(٢) قصر طوب: هو يقع على مسافة ١٠٠ كم جنوب شرقي عمان. الحمارنة، الفنون الزخرفية، ٦١.

(٣) قصر المشتى: هو قصر أموي يقع على مسافة ٣٢ كم جنوب شرق مدينة عمان، بناه الخليفة الأموي الوليد بن يزيد عام ١٢٦هـ/٧٤٤م. الحمارنة، الفنون الزخرفية، ٥٨.

(٤) الحارث بن جبلة الغساني: أشهر ملوك بادية الشام، حارب المنذر (أمير الحيرة) وانتصر عليه. الزركلي، خير الدين، ٢٠٠٢، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ج ٢/ص ١٤٥.

(٥) الأصفهاني، ١٩٢١، ص ٩٤؛ رشان، نزار، ٢٠١٦، مناهج تأريخ القصور الأموية ببلاد الشام، مجلة أدوماتو، مركز السديري الثقافي، المملكة العربية السعودية، ص ٤٨؛ مفضي، نافذة خلف عواد، ١٩٨٨، العمارة الأموية في فلسطين والأردن، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، الأردن، ص ٢٣٣.

أن غالبية قصور عصر الدولة الأموية الواقعة في الصحراء أصلها قلاع بيزنطية انتشرت بين مدينة تدمر شمالاً وخليج العقبة جنوباً، وتم استخدامها كأماكن للسكن بعد إجراء بعض التغييرات الداخلية والخارجية على بنائها، وحسب ما كشفت الشواهد التاريخية القديمة، أن أصل ونمط حمامات قصر عمرة هي حمامات رومانية بيزنطية، واحتوت هذه القصور قنوات وشبكات للمياه يرجع تأريخها عصر الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية، ويمكن إرجاع العناصر الفنية للزخرفة والنحت والتصوير إلى الطراز الروماني البيزنطي والتي تم تعديلها وفقاً لمنظور العمارة الإسلامية^(١).

الرأي الثالث:

ووفقاً لهذا الرأي، فإن نمط التشييد للقصر الأموي نشأ من البدو في الصحراء، الذين أقاموا دائماً خياماً حول فضاء مركزي، حيث كانوا يجمعون الماشية وكانوا بالقرب من الموارد المائية، وقد شيّدوا مبانيهم في المدن الحضرية على نفس النمط، وتم تشييد المساجد والدور السكنية والحانات على نماذجها، ويرجع هذا الرأي إلى المستشرق الفرنسي جورج الفريد مارصي حيث ذكر في كتابه "الفن الإسلامي" فقال: "لقد تغلغل الإسلام في الحياة البيئية، كما دخل حياة المجتمع، وصاغت الطوائع التي نشرها شكل البيوت والنفوس"^(٢).

وبالنظر إلى هذه الآراء ووجهات النظر، يمكن القول أن الفن المعماري الأموي هو فن أصلي مستمد من تقاليد الحياة العربية والظروف البيئية في المنطقة، واستعار في اختياراته من الزخارف المحلية الشعبية والتقاليد الإنشائية في مبانيه، سواء كانت للإمبراطورية الساسانية أو الرومانية أو البيزنطية، وتشيد قصور الدولة الأموية تأثرت بمخططات التشييد التي انتشرت في المنطقة، وذلك لانتشار تلك المخططات في فترة قريبة من عصر الدولة الأموية، ومع ذلك، تمكنت المشاريع الدولة الأموية أن تبرز في الأنماط الهندسية والفنون الزخرفية بخصائصها الإسلامية، واندمجت هذه الصور والزخارف مع الموضوعات التي عاشها الأمويون، أصبح الأسلوب الأموي العمود الأول الذي يعتمد عليه أصل وتطور أجزاء مختلفة من الفن الإسلامي، وأظهرت التنقيبات الأثرية في أرقى قصور الدولة الأموية تطوراً واهتماماً خاصاً بالمشاريع الإنشائية، وخاصة مشاريع المياه، والتي عززت الاستيطان والأنشطة الزراعية في المنطقة، وساهمت في إقامة ما يشبه الجنان في الصحراء، وكانت تمثل جانب من جوانب الترفيه الملكية^(٣).

(١) شريف، المدخل التاريخي، ٢٣٧؛ الحمارنة، الفنون الزخرفية، ١١؛ حداد، نايف، ٢٠٠٩، عمارة القصور الأموية في بلاد الشام:

دراسة تحليلية في الخصوصية، مجلة الامارات، ع ١٥، الامارات العربية المتحدة، ص ٤.

(٢) بهنسي، عفيف، ١٩٧٥، القصور الشامية وزخارفها في عصر الأمويين، ج ٢، ص ٢٦، الدار الاثرية السورية، دمشق، ص ١١.

(٣) بعارة، شفيق امين، ٢٠١٠، الحديقة في العمارة الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين، ص ٢١.

ثانياً: أنواع مشاريع المياه في عصر الدولة الأموية:

تعتمد الأنشطة الزراعية في بلاد الشام على الأمطار، وذكر المقدسي البشاري أن " الشام بلد يمطر في كل سنة فلا يتعطل الزرع فيه إلا أنه ربما أخصب وربما أجذب"، وأكد شهاب الدين النويري الرأي حين قال: " إن قانون البلاد الشامية مبني على نزول الغيث ووقوع الأمطار في إبانها وأوقات الاحتياج إليها"، وهذا ما يفسر افتقار مصادر المياه دائمة في بلاد الشام (إذ كانت أعدادها قليلة، وإن مستوياتها مرتبطة بتساقط الأمطار)، والتي يمكن للإنسان الاستفادة منها لتلبية احتياجاته المختلفة^(١).

فأرض الشام وطبيعتها الجغرافية يقل فيها المطر كلما اتجهنا من الساحل نحو الصحراء، ودفع هذا الأمويين إلى اتباع سياسة المياه، والتي تعتمد على الإنفاق على المشاريع المختصة بنقل المياه وتخزينها، ووضع القواعد والأسس لإدارتها. يمكننا أن نميز عدة مشاريع للمياه في بلاد الشام على النحو التالي:

١ - المشاريع المسؤولة عن نقل المياه:

ذكرت المصادر التاريخية الحول التي تبناها الخلفاء الأمويون لاستخدام الموارد المائية، ومنها إقامة الأنهار الصغيرة وقنوات المياه الفرعية من الأنهار الكبيرة، فقد أقام سليمان بن عبد الملك قناة للمياه تدعى بردة لسكان مدينة الرملة في فلسطين^(٢).

وأقام هشام بن عبد الملك قناة للمياه لسكان قرية حريستا^(٣)، فضلاً عن قناتين للمياه أقامها في الرصافة سميا بالمري والهني، ومصدرهما نهر الفرات، وأنشأ مسلمة بن عبد الملك في بلدة بالس نهرًا مصدره الفرات سمي باسمه بعد أن طلب منه سكان البلدة ان يقيم لهم نهرًا لسقي أراضيهم مقابل اعطاءه ثلثًا من محاصيلهم الزراعية^(٤).

وأقام سعيد بن عبد الملك قناتا للمياه سميت بأسمه، ومصدرها نهر الفرات، والتي تقع بجانب دير الزور، وكما أقام بني امية قنوات للمياه مصدرها عيون المياه المتفجرة خارج القرى والمدن، فكان الوليد بن عقبة يملك عين الرومية، والتي تروي أراضي مدينة الرقة، وفي حكم الخليفة سليمان بن عبد الملك، تم توسيع عين الرومية مع

١) المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٣، القاهرة، مكتبة مدبولي، ص ٢١٣؛ حسين، فالح صالح فالح، ١٩٧٤، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير، الجامعة الاردنية، عمان، ص ٢٢؛ الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج ٣/ ص ٢٥٥.

٢) الحموي، معجم البلدان، ١/ ٦٩؛ ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ / ١١٧٥م)، ١٩٩٥، تاريخ دمشق. تحقيق: عمر بن غرامة، بيروت، دار الفكر، ج ٢/ ص ٣٧٠.

٣) الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤١.

٤) الحموي، معجم البلدان، ١/ ٣٢٨.

امتداداتها التي تصب في نهر بردى وتغذيه بالمياه^(١)، وأنشأ عبد الملك بن مروان قناة لنقل المياه من العين الواقعة في قرية حيلان الى داخل مدينة حلب^(٢).

وكما مثلت القناطر احد اهم المشاريع المتخصصة بنقل المياه إلى، فخلال العصر الأموي، كانت مدينة القدس تروى بشبكة من القنوات لنقل الماء النقي، وكان مصدره القناطر التي تسحب المياه من الآبار والينابيع المجاورة، وبرع الأمويين في تشييد وتسقيف قنوات نقل المياه، حيث كانت قناة ينابيع نهر السكون، والتي تعرف بالوقية، قائمة وممتينة ولم تكن تحتوي على صدوع او شروخ الى وقت بعيد، وهي من اهم المشاريع التي اقامها الوليد بن عبد الملك^(٣).

وبالإضافة إلى القنوات التي أقيمت داخل المدن ، قام الأمويون أيضًا ببناء قنوات لجمع مياه الأمطار وتصريفها في السدود والبرك والآبار داخل القصورهم الكثيرة المشيدة في الصحراء .

وبينت الحفريات الأثرية الأخيرة إلى أي مدى حقق الأمويون خبرة كبيرة في مشاريع البناء وتشبيد شبكات المياه، ففي الأراضي الواقعة بين مدينة تدمر ونهر الفرات، تم إنشاء القلعة الشرقية في مناخ جاف مع هطول سنوي لا يزيد عن ١٥٠ ملم، ومن أجل حل مشكلة الجفاف في تلك الأراضي، تم إنشاء مشروع كبير يتمثل بممرين مائين يمتد على مسافة ٢٧ كيلومترًا إلى الشمال الشرقي من مجمع القلعة، وقد تم تغذية الممرين المائين بروافد الوديان والسيول على مدى امتداد الممرين وصولاً الى قرية الكوم^(٤).

ومن الواضح أن الحاجة للمياه في تلك الأراضي الحضرية كانت مطلوبة بشدة، حيث يوجد بها مسجد وأكثر من ٣٠ هكتارًا من الأراضي الزراعية، الأمر الذي دفع الخليفة هشام بن عبد الملك إلى النظر في توفير مياه إضافية للممرين من خلال فرع جديد لسد وادي السوق على بعد كيلومتر واحد من القلعة الشرقية، وأثبتت أعمال الحفر أن السد كان مخصصًا بالفعل لتزويد الممرين بالمياه، وليس الغرض المعروف لتخزين المياه، وفي حالة حدوث فيضان، فتم تجهيز السد بفتحات وقائية يتم فتحها لتجنب الفيضانات في الأراضي الحضرية، وفي النهاية فإن هذه الممرات المائية تصب في بركة كبيرة وخزانات غرضها خزن المياه الزائدة عن الحاجة، ليتم استخدامها في الحمامات والأراضي الزراعية، اما قصر الزيتون الذي يقع جنوب غرب مدينة تدمر، والذي شيده الخليفة هشام بن عبد الملك في منتصف صحراء الشام، فقد تميز بوجود ممر لنقل المياه يمتد على مسافة ١٨ كيلومترًا في الأراضي الصحراوية الجافة، وكان الغرض من ذلك الممر المائي تزويد قصر الزيتون والحمامات والأراضي الزراعية

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ١٨١.

(٢) ابن شداد، (ت: ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)، ١٩٩١، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبادة، الجزء الأول من القسم الأول والثاني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ج ١/ ق ١/ ص ٥٠.

(٣) الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، ١٩٩١، المعارف، تحقيق: عكاشة ثروت، ط٢، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ص ٣٥٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢ / ٣٧١؛ مفضي، العمارة الاموية، ١٢٧.

(٤) كرد علي، محمد، ١٩٨٣، خطط الشام، ط٣، دمشق، مكتبة النوري، ج ٢/ ص ١٣٨.

المجاورة له بالمياه، وعلى بعد ١٥ كيلومتراً غرب تدمر، في منطقة الحريكة تم تشييد سد الحريكة كممول رئيسي للمياه، وتميزت هذه المنطقة باحتوائها على طاحونه مائية تقع قرب الأراضي الحضرية، وهذا ما يؤكد نشاطات الاستثمار الزراعي في تلك القصور، ويدل على مدى قوة تدفق مياه الممر التي تعمل على دوران دولاب الطاحونة، ويصب هذا الممر المائي في خزان كبير ليتم استخدام المياه المخزنه فيه عند الضرورة، ومن الجدير بالذكر أن هذه الممرات المائية تحتوي فتحات للتهوية والصيانة ممتدة على طول مسار الممر، وبالإضافة الى ممرات المياه الخارجية، تم انشاء ممرات للمياه داخل الأراضي الحضرية، الغرض منها كان تجميع مياه الأمطار وتخزينها داخل خزانات كبيرة ليتم استخدامها عند الحاجة، ومما لا شك فيه أن هذه التقنيات مدرجة في السياسة الزراعية البيزنطية في الشام، مثل بناء السدود والبرك - المعروفة اليوم باسم البرك الرومانية - لتوفير مياه الشرب والري للمدينة من خلال الأنابيب الفخارية أو قنوات الري، ومع ذلك ، تؤكد البيانات التاريخية أن الأمويين عملوا بجد لإنشاء قنوات جديدة لتغذية أراضيهم الحضرية، حين ذكر البلاذري أن الخليفة سليمان بن عبد الملك أقام قناة لنقل المياه لسكان مدينة الرملة، ومن الجدير بالذكر أن السلطات الأموية الحاكمة أجازت لأصحاب الأراضي بحفر ممرات المياه لري المحاصيل الزراعية بشرط أن لا يسبب ذلك أي ضرر في النهر الرئيسي، وتبقى الشواهد كثيرة متضمنه القصور المشيدة بأماكن عديدة والتي تدل على تطور الأمويين في تقنيات المشاريع المخصصة لنقل المياه، حيث تم وصفها بالتقنية البارعة^(١).

(١) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت: ١٨٢هـ / ٧٩٨م)، الخراج. تحقيق: سعد حسن محمد، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ص١٠٧؛ البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٥؛ رجال، عاطف، ٢٠٠٠، تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي، ط ١، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، ص١٤٥؛ كاهن، كلود، ٢٠١٠، الإسلام منذ نشوئه وحتى قيام الخلافة العثمانية، ط ١، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ص٢١٥.

٢- المشاريع المسؤولة عن خزن المياه:

لا شك أن الطلب المستمر على المياه في المناطق الجافة نسبياً مثل بلاد الشام يجعل فكرة إنشاء منشآت ومباني لتخزين المياه أمراً ضرورياً، وقد اختلفت أنواع المنشآت المتخصصة بتخزين المياه في حكم الدولة الأموية إلى ما يلي:

أ_ **صهاريج المياه:** عبارة عن خزانات يتم انشاءها لتخزين المياه، وقد تم اتخاذ الاحتياطات الإنشائية أثناء بنائها للحفاظ على المياه نظيفة مثل طلاء الجير من الداخل وتعتمد كمية المياه وسعتها على عدد السكان^(١).

وتستخدم صهاريج المياه عندما تتضرب السدود والينابيع أو ينخفض التدفق، وأشار المقدسي البشاري إلى وجود عدد قليل جداً من المنازل في بيت المقدس لا يحتوي صهاريجاً للمياه^(٢)، وتنقسم عموماً إلى نوعين صهاريج المياه العامة، وصهاريج المياه الخاصة.

صهاريج المياه العامة: يكون انشاءها وصيانتها من بيت المال، حيث كان بني أمية هم من ينفقون عليها^(٣).
صهاريج المياه الخاصة: اقيمت داخل البيوت، ويوجد منها الصغيرة والكبيرة، وكان يتم تغطيتها للحفاظ على نظافة المياه^(٤).

وقد بينت الحفريات الأثرية أن صهاريج المياه المشيدة للقصور يتم تغذيتها بالمياه من السدود والآبار عن طريق ممرات مائية، وتم استخدام مياه الصهاريج الخاصة بقصر عمرة لري الحديقة وللحمامات، واستخدمت تلك المياه أيضاً لتغذية نافورة القصر الواقعة في منتصف القصر، حيث وجود صهريج للمياه غرب النافورة بلغت ابعاده (٣.٥ * ٣.٥) متراً^(٥).

وبينت صهاريج قصري القسطل والمشاش التقنية المستخدمة في تشييد صهاريج المياه، حيث تم بناء الجدران من حجارة مليئة بملاط مخلوط بالحصى، وكانت الجدران مغطاة بمواد كلسية مانعة لتسرب المياه، وحسب التنقيبات، لا يقتصر إنشاء خزانات المياه على الأرض فقط، فبعض الخزانات انشئت تحت الأرض، وكانت عميقة للغاية، واحتوت على سالام، بعضها مقطوع من المنحدر الصخري لدعمها، تجاوز عمق صهريج المياه الخاص بقصر القسطل الستة أمتار، وبسبب تجمع كميات التربة به، لم يتم التمكن من تحديد العمق الحقيقي للصهريج، وكانت صهاريج المياه تغطي بالواح من الحجر لتمنع تبخر المياه، واحتوى مدخل الصهريج على حوض ترابي على شكل حدوة حصان عند فوهة خزان المياه لتجميع المياه وشق (مرشح) لتنقية المياه من الأوساخ والأتربة، وبعض

(١) الفراهيدي، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو (ت: ١٧٠هـ / ٧٨٦م)، د. ت، كتاب العين. تحقيق: إبراهيم السامرائي، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ج ١/ ص ٣٠٥.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ١٤٥.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، ١٦٧.

(٤) الحموي، معجم البلدان، ٢ / ٦٩؛ البذور، سليمان، ٢٠١٢، إدارة المياه في بلاد الشام، المؤتمر التاسع "تاريخ بلاد الشام"، اربد، جامعة اليرموك، ص ٦.

(٥) مفضي، العمارة الاموية، ١٤٢.

تلك الصهاريج كانت منقوشة بنقوش تدل على تاريخ إنشائها ، مثل صهريج قصر الموقر الذي يعود إلى عصر هشام بن عبد الملك، ويتميز ببنائه الذي اقيم لقوافل الحج الماره بجواره^(١).

ب_ سدود المياه: إن تاريخ بناء السدود له تاريخ طويل، ومما لا شك فيه أن انشاء سدود المياه تتطلب مستوى عالٍ من القدرة التقنية، وقد كان أداء شعوب الشرق القديم جيداً في هذا المجال، وهناك انواع عديدة من السدود تم انشاءها في عصر الدولة الأموية للقيام بوظائف مختلفة، فبُني بعضها لتحويل مسار الوديان، ومثال على ذلك سد وادي السوق الواقع على بعد كيلومتر واحد شمال القلعة الشرقية من أجل إمداد القصر بالمياه، وتم تزويد سد المياه هذا بفتحات لتجنب حدوث الفيضان، اما النوع الآخر للسدود هي السدود الطبيعية المنشأ، وتستخدم لتخزين المياه، ومثال على ذلك هو سد الحريكة، ويعود أصله إلى العصر الروماني ، لكن يبدو أن الأمويين قد تطورا بناءه ، حيث وصل طول السد حوالي ٣٤٥ متر، وارتفاعه حوالي ٢٠.٥٠ متر، وسمك قاعدته حوالي ١٨ متر، وحسب ابعاده تلك فهو يمثل اكبر سد في تلك الحقبة، وكان يحتوي على ثلاثة منافذ مائية، كل منها يمد المنطقة السكنية للقصر بالمياه، فيقوم المخرج الأول بنقل المياه عبر قناة إلى القصر والحمامات بمسافة ١٥ كيلو متر، ويقوم المخرج الثاني والثالث بنقل المياه عبر قنوات تصل الى طاحونة المياه وصهريج المياه الكبير مسافة ١٧.٥ كيلو متر، ومما لا شك فيه أن سدود المياه انتشرت على نطاق واسع في عصر الدولة الأموية، واعتمدت القصور المشيدة في الأراضي الصحراوية عليها، ومن الواضح أن الأراضي الصحراوية التي اقيم فيها قصر الحلابات^(٢) وقصر القسطل، والتي برهنت الحفريات الأثرية في تلك الأراضي على وجود نشاط زراعي، ونسبة استيطان كبيرة للسكان، يرجع بالاساس الى سدين كبيرين للمياه اقيما باستخدام الحجارة، وكانت جدرانها الخارجية مغطاة بطبقة من الملاط لمنع تسرب المياه، والبقايا الأثرية التي تم العثور عليها، بما في ذلك كسر من الفخار الأموي، تشير الى أن الحياة كانت مزدهرة في تلك الحقبة^(٣).

ج_ برك المياه والآبار: وهي أشبه بحوض حفر في الأرض لتجميع مياه الأمطار، وعرفت منذ بداية استيطان السكان في بلاد الشام، والتقنية السائدة والمستخدمة على نطاق واسع هي حفر البرك في الصخور للاستفادة منها خلال موسم الجفاف ، وكثير منها تم حفرها في مدن بلاد الشام، وتميزت مدينة القدس ببركها الكبيرة كبركة بني اسرائيل، وبركة عياض، وبركة سليمان، وكانت تغذي مساجد المدينة وحماماتها بالمياه الضرورية، ومما لا شك فيه ان هذا النوع من مشاريع المياه استمر خلال فترة حكم الدولة الأموية، حيث بينت الحفريات الأثرية في مدينة حلب

١) مفضي، العمارة الأموية، ٢٢٢؛ زكريا، مها، ٢٠١٧، المنشآت المائية في بلاد الشام وآثارها الاجتماعية والاقتصادية في العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، ص ٣٤.

٢) الحلابات: قصر أثري في الأردن يقع على بعد ٢٥ كم شمال شرق الزرقاء وإلى الشمال من الطريق المعبدة التي تصل مدينة الزرقاء بواحة الأزرق. الحمارنة، الفنون الزخرفية، ٥٢.

٣) زكريا، المنشآت المائية، ٤٥.

انتشار واسع لهذه المشاريع وخصوصا في منطقة كرم الحوش، حيث وجود سبعة برك فيها، وكانت تشهد أعمال التجديد والترميم لاستمرار فاعليتها^(١).

وتميزت برك المياه بأشكالها المختلفة فمنها المربعة والمستطيلة، ومنها الدائري والبيضوي والاسطواني، وتم تزويدها بأدراج من الحجارة لسهولة اخذ الماء منها، ومثال على ذلك، بركة قصر الموقر^(٢)، والتي نقشت عليها كتابات بالخط الكوفي تبين تاريخ تشييدها في حكم الخليفة يزيد بن عبد الملك، ويتخذ بناء هذه البرك سمات هندسية نموذجية، وهي الحفر بالصخور، ثم بناء أجزائها العلوية بالحجارة، ويتم معالجة أسطحها الداخلية بطبقة من الطلاء العازل لمنع تسرب المياه، وقد تم تجهيز هذه البرك بأحواض ترشيح لترسيب الطمي، وكما هو معمول به في قصر المشتى، والحلابات، والقسطل^(٣).

من خلال المصادر المستدلة والحفريات الأثرية، لاحظنا أن هذا النوع من مشاريع المياه في بلاد الشام في عصر الدولة الأموية كان مرتبطاً بأنشطة اقتصادية مهمة مثل رحي وطواحين المياه، وكانت طرق قوافل الحج ايضا مرتبطة بها مثل بركة القلعة الشرقية وأراضي النشاط الزراعي الخاصة بالقصور، الامر الذي جعلها أراضي مهمة ومناسبة والاستيطان، فقد كان الحجاج يقصدون قرية زيزاء، والتي احتوت على بركة مياه كبيرة، وكان الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك يسخر مياه تلك البركة لمن يقصده من أهل الصوائف، وقوافل الحج، لمدة ثلاثة أيام ويطعم حيواناتهم، الامر الذي يبين قيمة هذه المشاريع في الأراضي القاحلة والصحراوية^(٤).

اهتم سكان بلاد الشام بمشاريع حفر الآبار في العديد من المدن، وقد ساعدت الطبيعة الجيولوجية لتكوين الصخور على وجود العديد من آبار المياه الطبيعية في بلاد الشام، وشجع خلفاء بني أمية على تنفيذ مشاريع حفر الآبار، وامروا بتسديد نفقة اقامتها والاعتناء بها من بيت المال، ومثال على ذلك آبار مدينة الرملة في فترة حكم الخليفة سليمان بن عبد الملك، وآبار المسجد الاقصى التي كانت عامة لجميع الناس، ويرجع تاريخ اقامتها او ترميمها لفترة حكم بني أمية، ووصفت مدينة حلب بـ"ذات الآبار" وذلك لان جميع مياه المدينة كان مصدرها الآبار المحيطة بها، واتخذ سكان بلاد الشام اسلوب خاص في تنفيذ هذا النوع من المشاريع المائية، حيث تم تشييدها من خلال تغطية جدران البئر الداخلي بالصخور، والتي تم تقليصها بدكاء وترتيبها بدقة وصولا إلى سطح الأرض، وكان الماء يستخرج من البئر ليزود الخزانات او الصهاريج عن طريق جيوب جلدية متصلة مع بعضها بحبل، وهو ما اظهرته آثار الآبار المشيدة في عصر بني أمية كآبار قصير عمرة^(٥).

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ١٦٨؛ زكريا، المنشآت المائية، ٣٦ - ٣٧.

(٢) الموقر: قصر أموي بُني في عصر الخليفة يزيد بن عبد الملك يقع في الأردن. الحمازنة، الفنون الزخرفية، ٦٢.

(٣) مفضي، العمارة الاموية، ٢١٥؛ الحمازنة، الفنون الزخرفية، ٦٢؛ زكريا، المنشآت المائية، ٣٧.

(٤) الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، ١٩٦٧، تاريخ الرسل والملوك. ط٢، بيروت، دار التراث، ج٧/ ص٢١٧؛

الحموي، معجم البلدان، ٢١٧؛ زكريا، المنشآت المائية، ٤٢.

(٥) البلاذري، معجم البلدان، ١٤٥؛ زكريا، المنشآت المائية، ٢٦؛ فاروقة، عمر، ١٩٩٥، قصير عمرة ورسومه الجدارية، رسالة

ماجستير، الجامعة الاردنية، عمان، ص٣٠.

٣- مشاريع المياه الخدمية:

أ_ الحمامات: كان أهل بلاد الشام مهتمون جدًا بتشبيد الحمامات، وكانت الحمامات الأموية امتدادًا للحمامات العربية الإسلامية السابقة لأنها ربطت نظام الحمام الروماني البيزنطي والحمام العربي الإسلامي فيما بعد، وافتخر الدمشقيين في فترة حكم بني أمية بكثرة حماماتهم، وبحسب الأدلة الأثرية لقصور الدولة الأموية، فإن الحمامات تتميز بعدد من العناصر الانشائية، وتتكون من أقسام عديدة وهي صالة الاستقبال، خلفها عدد من الغرف ذات درجات حرارة مختلفة (باردة ودافئة وساخنة)، متصلة ببعضها البعض عن طريق ممرات ومجهزة بناوذا تهوية، وكانت مصادر المياه لتلك الحمامات هي البرك والصهاريج المائية المشيدة بالقرب منها، وكانت الحمامات في عصر بني أمية ملحقة مع القصور لاضافة جانب النظافة والرفاهية فيها، وتم انشاء حمامات منفصلة ومستقلة مثل حمام الصرح^(١)، وزينت سقفها بالفسيفساء واللوحات الزخرفية المختلفة^(٢).

ب_ سقايات او أسبلة المياه: هي أبنية مخصصة لتوفير المياه للمارين في الطريق يروون منها عطشهم، وشهدت بلاد الشام مشاريع للمياه مختلفة ذات التأثيرات الاجتماعية الكبيرة، ولاقت سقايات المياه اقبالا وترحيب من قبل المسلمين العرب لانها توفر مياه الشرب للمارة في الطرقات، واستخدمت ايضا لسقي الدواب والحيوانات، حيث تم اقامة أحواض مياه لسقيهم، وعبر العصور، نجد المسلمين العرب يقدرون المياه التي جعل الله منها كل شيء حي، ففي الأماكن القريبة من مصادر المياه المختلفة، قاموا بتصميم طرق لضمان تخزين أو نقل المياه الى المدن، وأقاموا السقايات لسقاية المارة في شوارع المدن الإسلامية دون أي مقابل.

والسقايات عبارة عن ابنية صغيرة كانت تخصص للأماكن العامة، وزوايا المباني الدينية والمدنية، لتوفير مياه الشرب كأعمال صدقات، وسميت بالأسبلة في نهاية القرن الحادي عشر ميلادي، وكانت الأسبلة في عصر بني أمية منتشرة في داخل المدن لبساطة بنائها، والتي اعتمدت على الأنهار والأودية القريبة منها لتزودها بالمياه، وهي في شكلها عبارة عن مدخل حائط كبير او صغير بشكل منحنى بسيط، وأمامه حوض من الحجر أو الرخام، يملأ بالمياه عن طريق طوابع المياه والتي تأخذ المياه مباشرة من فروع النهر لتقديم الماء الذي يحتاجه المارة، أما الأسبلة البعيدة عن مصادر المياه، فيتم تغذيتها بالمياه من صهريج للمياه مبني تحت الأرض، ويتم استخدام طرق خاصة في بنائه لتجنب إتلاف المياه الجوفية العميقة، فالمكان الذي يتم فيه حفر الأساس يحاط بحاجز أو أكثر من التراب أو الخشب، ويتم ترك مسافة بينهما حتى يرفع الماء منها، واحتوت العديد من القصور الأموية على أسبلة المياه كقصر خربة المنية^(٣)، وقصر خربة المفجر، والجدير بالذكر أن تجهيز وإدارة أسبلة المياه وإحضار المياه إليها

(١) حمام الصرح: حمام يقع على مسافة ٢ كيلو متر جنوب شرق قصر الحلابات. مفضي، العمارة الاموية، ١٣٦.

(٢) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢/ ٢٦٩؛ مفضي، العمارة الاموية، ١٤٠ - ١٤١؛ فاروق، قصير عمرة، ٦٩.

(٣) قصر خربة المنية: قصر أموي يقع في فلسطين على بعد حوالي ٢٠٠ متر من جهة الغرب للطرف الشمالي لبحيرة طبرية.

الحمارنة، الفنون الزخرفية، ٦٧.

يتطلب موارد مالية مستمرة للإنفاق عليها، فعلى مشييدها إعطاء الأرض والعقار اللازم لها، فقد انفق الخليفة سليمان بن عبد الملك اموالاً كثيرة لجامع الرملة وما تبعه من مشاريع للمياه^(١).

ج_ نافورة المياه: تتميز هذه المنشأة بميزة فريدة في المدن الإسلامية، إضافة إلى وظيفتها الجمالية، فهي مرتبطة أيضاً بالطقوس والعقائد والتعاليم الدينية الإسلامية (الوضوء)، وغالباً ما يرتبط موقعها بالمساجد، وكما هو متعارف عليه، فإن آلية عمل النافورة تستند على تدفق المياه إلى حد ما من الفتحات الضيقة، ولم تخلو قصور بني أمية من هذا النوع من مشاريع المياه، فأثبتت التنقيبات الأثرية وجود نوافير المياه في قصر عمرة والقلعة الشرقية تم تشييدها باتقان هندسي وبعد جمالي مميز، ووجد في أحد زوايا المسجد الأموي (جرش)، والذي يرجع تأريخه لفترة حكم الخليفة هشام بن عبد الملك، صحن لنافورة مياه كانت تستخدم للوضوء^(٢).

(١) الحموي، معجم البلدان، ٤٦٥؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ٥٠؛ الغزي، كامل بن حسين ١٩٩٨ نهر الذهب في تاريخ حلب، ط٢، حلب، دار القلم، ج٢/ ص٢٠٠؛ زكريا، المنشآت المائية، ٥٦ - ٥٩؛ مفضي، العمارة الاموية، ١٦٦؛ قعقور، فداء، ٢٠١٠، الأسبلة المائية في العمارة الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ص ١٤.

(٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ١٥٦؛ زكريا، المنشآت المائية، ٥٤ - ٥٥.

ثالثاً: تطوير وصيانة مشاريع المياه في عصر الدولة الأموية:

مما لا شك فيه أن مشاريع المياه كانت بحاجة مستمرة للصيانة والتطوير من أجل تلبية المتطلبات السكان الحيوية، وكانت الدولة الأموية مهتمة بضمان ديمومة مصادر المياه كالأنهار والممرات المائية التي تغذي مشاريعهم، فقامت بعمليات مختلفة على الأنهار والقنوات لأغراض الصيانة، مثل كرى مصادر المياه، أي إزالة الأوساخ والأعشاب الخشنة التي تتسبب باعاقبة تدفق المياه، وقامت أيضاً ببناء مسنجات للأنهار والممرات المائية، وهي جدران على جانبي النهر للحفاظ على اتجاه مجراه، وغالباً ما تتضرر هذه الجدران بسبب بثق المياه، وخصوصاً في فصل الشتاء في الأماكن التي يرتفع فيها مستوى النهر أو الممر المائي الى حد الفيضان، فتأمر الدولة للاسراع في صيانتها، الأمر الذي يبين أن عمليات الاصلاح كانت دورية ومستمرة، وكانت الأموال المطلوبة لتلك الاصلاحات تؤخذ من بيت المال، فقام الخليفة عبد الملك بن مروان بتجديد قناة مدينة حلب بعد أن دثرت، وأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك باجراء عمليات كرى لمياه نهر بردى الواقع في مدينة دمشق بعد أن اخبره السكان عن انخفاض منسوبه ومدى احتياجهم للمياه^(١).

ويبدو أن الدولة قد أنفقت الكثير من الأموال من بيت المال للتعامل مع مشاريع الحفاظ على المياه، ولإعطاء القيمة التقريبية لنفقات الدولة في هذا المجال، يمكن عمل مقارنة بسيطة بين بلاد الشام والعراق، على الرغم من ندرة المعلومات حول هذا الموضوع، فقد ذكر البلاذري أن والي العراق عبدالله بن عمر بن عبد العزيز (١٢٨هـ/٧٤٥م) أقام نهرا في محافظة البصرة اسماه باسمه، وانفق عليه ٣٠٠,٠٠٠ الف درهم، وذكر ايضا أن الخليفة مسلمة بن عبد الملك أقام عمليات اصلاح للبتوق في العراق أنفق عليها ٣٠٠٠,٠٠٠ درهم، فإذا احتاج العراق، وهو بلد ذو ممرات مائية وفيرة، إلى مثل هذا القدر الكبير من المال لحفر نهر والعناية به، فسيكون الوضع مختلفاً حتماً بالنسبة لمنطقة مثل بلاد الشام، حيث تفتقر الى المياه بسبب طبيعتها ومناخها، ويتضح أن الدولة الأموية كانت تنفق مبالغ طائلة لتوفير المياه وصيانة مرافقها، الأمر الذي يجبرها أحياناً على إجبار المزارعين على كرى الأنهار والممرات المائية التي يستخدموها لأراضيهم الخاصة^(٢).

(١) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ٥٧.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ٢٨٨، ٣٥٨؛ ابن عساکر، تاريخ دمشق، ٣١/٢١٦-٢١٧؛ الغزي، نهر الذهب، ١/٦٢؛ البذور، ادار

المياه، ١٠؛ حسين، الحياة الزراعية، ١٠٠.

الخاتمة:

من خلال العرض الموجز في أعلاه لمشاريع المياه في بلاد الشام خلال عصر الدولة الأموية، تم الحصول على نتائج عديدة نوجزها في التالي:

- ١_ تميزت مشاريع المياه بالاختلاف من حيث النوع، والوظيفة، وأسلوب البناء، وقد استخدم الأمويون الأسلوب الأمثل الذي يلائم الطبيعة البيئية، ويستوعب الأساليب الانشائية السابقة، من خلال منظور اسلامي.
- ٢_ كانت مواد التشييد المستخدمة مراعية لخصوصية البيئة المحلية، وقد بذلت الدولة الأموية جهود عظيمة للحفاظ على مشاريع المياه لتلبية الاحتياجات اليومية، وسقي الحقول الزراعية، الأمر الذي انعكس على الجانب الاقتصادي للدولة، فزادت أنشطة الانتاج لوجود مشاريع الري التي ساعدت في استصلاح الحقول الزراعية
- ٣_ وانعكست أهمية المياه على الجانب الاجتماعي، بفضل ارتفاع مستوى المعيشة للسكان، ومن الممكن ان ينعكس ايضاً على الاستقرار السياسي للدولة نظراً لأهمية مثل هذا النوع من المشاريع.

المصادر والمراجع:**أولاً: المصادر الأولية:**

- ١- ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، ١٩٩٧، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي.
- ٢- الأصفهاني حمزة بن الحسن. (١٩٢١). تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، مج ٢، مطبعة الحياة، برلين.
- ٣- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داؤد (ت: ٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، فتوح البلدان، بيروت، دار ومكتبة الهلال.
- ٤- الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر
- ٥- الدينوري، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، المعارف، تحقيق: عكاشة ثروت، ط٢، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب
- ٦- ابن شداد، (ت: ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)، الأعلام الخظيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبادة، الجزء الأول من القسم الأول والثاني، دمشق، منشورات وزارة الثقافة
- ٧- الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك. ط٢، بيروت، دار التراث.
- ٨- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ / ١١٧٥م)، تاريخ دمشق. تحقيق: عمر بن غرامة، بيروت، دار الفكر

- ٩- الفراهيدي, ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو (ت: ١٧٠هـ / ٧٨٦م), د. ت, كتاب العين. تحقيق: إبراهيم السامرائي, بيروت, دار ومكتبة الهلال
- ١٠- المقدسي, ابو عبد الله محمد بن احمد (ت: ٣٨٠هـ / ٩٩٠م), أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم, ط ٣, القاهرة, مكتبة مدبولي
- ١١- ابن منظور, جمال الدين ابو الفضل, ١٩٩٣, لسان العرب, ط ٣, بيروت, دار إحياء التراث العربي
- ١٢- أبو يوسف, يعقوب بن إبراهيم (ت: ١٨٢هـ / ٧٩٨م), الخراج. تحقيق: سعد حسن محمد, القاهرة, المكتبة الأزهرية للتراث

ثانياً: المراجع الثانوية:

- ١- رجال, عاطف, ٢٠٠٠, تاريخ بلاد الشام الاقتصادي في العصر الأموي, ط ١, بيروت, بيسان للنشر والتوزيع.
- ٢- ربحاوي, عبد القادر, ١٩٧٩, العمارة العربية الإسلامية, القاهرة, منشورات وزارة الثقافة.
- ٣- الزركلي, خير الدين, ٢٠٠٢, الأعلام, بيروت, دار العلم للملايين.
- ٢- سامح, كمال الدين, ١٩٩١, العمارة في صدر الإسلام, ط ١, القاهرة, المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر والتأليف.
- ٣- عطوان, حسين, ١٩٨٧, الجغرافية التاريخية لبلاد الشام, ط ١, بيروت, مطبعة الجيل.
- ٤- الغزي, كامل بن حسين ١٩٩٨ نهر الذهب في تاريخ حلب, ط ٢, حلب, دار القلم.
- ٥- كاهن, كلود, ٢٠١٠, الإسلام منذ نشوئه وحتى قيام الخلافة العثمانية, ط ١, بيروت, المنظمة العربية للترجمة.
- ٦- كرد علي, محمد, ١٩٨٣, خطط الشام, ط ٣, دمشق, مكتبة النوري.
- ٧- هايتز غاوبه (٢٠٠٦). القصور الأموية في بلاد الشام, (أصولها واعتباراتها السياسية والاقتصادية), منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية, عمان.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:

- ١- بعاره, شفيق امين, ٢٠١٠, الحديقة في العمارة الإسلامية, رسالة ماجستير, جامعة النجاح, فلسطين.
- ٢- حسين, فالح صالح فالح, ١٩٧٤, الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي, رسالة ماجستير, الجامعة الاردنية, عمان.
- ٣- الحمارة, منذر, ١٩٩٦, الفنون الزخرفية في القصور الأموية ببلاد الشام, رسالة ماجستير, الجامعة الردينية, الاردن.
- ٤- زكريا, مها, ٢٠١٧, المنشآت المائية في بلاد الشام وآثارها الاجتماعية والاقتصادية في العصر الأموي, رسالة ماجستير, جامعة القصيم, المملكة العربية السعودية.
- ٥- عواد, نايفة ع (١٩٨٨). العمارة الأموية في فلسطين والأردن, اطروحة دكتوراه, الجامعة الأردنية, عمان.

- ٦- فاروقة, عمر, ١٩٩٥, قصير عمرة ورسومه الجدارية, رسالة ماجستير, الجامعة الاردنية, عمان.
- ٧- قعقور, فداء, ٢٠١٠, الأسبلة المائية في العمارة الإسلامية , رسالة ماجستير, جامعة النجاح الوطنية, نابلس.
- ٨- مفضي, نايفة خلف عواد, ١٩٨٨, العمارة الأموية في فلسطين والأردن, رسالة ماجستير, الجامعة الاردنية, الاردن.

رابعاً: البحوث والدوريات:

- ١- البدور, سليمان, ٢٠١٢, إدارة المياه في بلاد الشام, المؤتمر التاسع "تاريخ بلاد الشام", اربد, جامعة اليرموك.
- ٢- بهنسي, عفيف, ١٩٧٥, القصور الشامية وزخارفها في عصر الأمويين , ج ٢ , مج ٢٦ ,الدار الاثرية السورية , دمشق.
- ٣- حداد, نايف, ٢٠٠٩, عمارة القصور الأموية في بلاد الشام: دراسة تحليلية في الخصوصية, مجلة الامارات, ع ١٥ , الامارات العربية المتحدة.
- ٤- رشان, نزار, ٢٠١٦, مناهج تأريخ القصور الأموية ببلاد الشام, مجلة أدوماتو, مركز السديري الثقافي, المملكة العربية السعودية.
- ٥- شريف, يوسف, ١٩٨٠, المدخل التاريخ الفن والعمارة الإسلامية, بغداد, منشورات دار الجاحظ.
- ٦- طوقان, فوزي, ١٩٨١, حدائق الحيوان في العصر الأموي, ع ٣١٤, ج ١, الدار الاثرية العربية السورية , جامعة دمشق.
- ٧- غاوية, هايتر, ١٩٨٤, الخربة البيضاء, مجلة التسامح, ع ١٦٤, الاردن.